خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٥/٠٥/٠١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

عندما يذكر المصلح الموعود ﷺ أحداث سيرة المسيح الموعود عليه السلام فإنه يستنتج منها بدقة متناهية تلك النتائج التي ترشد المؤمن إلى الطرق الصحيحة للإيمان وتجعله عارفًا حقيقيًا لدين الله تعالى ومدركًا لحقيقته.

كان حضرته ﷺ يفسر آية الكرسي ذات مرة، فقال موضّحًا معاني ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: قال الله تعالى: أخبروني الآن إذا كان مولاكم هو مَن له ما في السماوات وما في الأرض فمَن تتخذونه مولىً لكم مقابله؟ يدعي الناس بأننا لا نعبد إلا الله، ولا نعبد غيره، إلا أنهم يتصدقون باسم غير الله ويطلبون منهم مراداتهم ظنًّا منهم أنهم مقربون عند الله ويشفعون لهم في حضرة الله. يقول حضرته ﷺ: يقول الله تعالى بأنه لا يسع أحدا الشفاعةُ عندنا من دون إذننا. ثم يقول: من كان أكبر من المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر؟ مع ذلك لما دعا المسيح الموعود عليه السلام مرة لعبد الرحيم خان ابن نواب محمد علي خان أثناء مرضه، تلقى وحيًا بأن المريض موشك على الموت لا محالة، فخطر ببال حضرته عليه السلام أن نواب محمد علي جاء واستقر في قاديان تاركًا وراءه كل شيء، وفي هذه الحالة لو توفي ابنه فلعله يتعرض للابتلاء، لذلك قال عليه السلام في حضرة الله تعالى بأنني أشفع لصحته، فتلقى وحيا: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه."

كان المسيح الموعود عليه السلام إنسانًا كبيرا وعظيمًا لدرجة أنّ العالم كله ظلّ ينتظره منذ ثلاثة عشر قرنًا، إلا أنه عندما شفع عند الله تعالى ردّ عليه: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه."

يقول حضرته عليه السلام: لما تلقيت هذا الوحي خررتُ، واقشعر بدني، وكادت نفسي تزهق، فلما بلغتْ حالتي هذا المبلغ قال الله تعالى بأننا نأذن لك بالشفاعة، فاشفع الآن، فشفع حضرته عليه السلام واستعاد عبد الرحيم خان صحته.

كان ذلك فضل الله تعالى أنه استجاب دعاء المسيح الموعود عليه السلام وأذِن له بالشفاعة، فإذا كان الله تعالى يقول لشخص مثل المسيح الموعود عليه السلام: من أنت حتى تشفع عندي، فأنى لهؤلاء الذين يعدّون أنفسهم كبارًا أن يشفعوا لديه؟ يتضح من الأحاديث أيضا أن النبي ﷺ لن يقوم بالشفاعة إلا بعد أن يؤذن له. فما أجهله من شخص يزعم أن فلانًا من الناس سيُشفع له. لقد ولّدت هذه الفكرة الخاطئة في مجتمعنا عادةً سيئةً لعبادة القبور، وراح الناس يشركون بالله ويعبدون مرشديهم.

فعلى كل أحمدي أن يتذكر أن الله تعالى قد قال عن النبي ﷺ أيضا أنه لن يشفع إلا بعد أن يأذن له الله تعالى بها.

ثم يذكر المصلح الموعود رضي الله عنه مثالا على كيفية إراءة الله تعالى للمسيح الموعود عجائب قدرته فيقول: كان حضرته قد أصيب مرة بالسعال الشديد. الحقيقة أن حضرته ظل يسهر الليالي في علاج مرض مبارك أحمد الذي كان أصغر أبنائه. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه بأنني كنت أنام في تلك الأيام في الساعة الثانية عشرة ليلا وأستيقظ مبكرًا، ولكن كلما ذهبت للنوم رأيت حضرته عليه السلام ساهرًا، وكلما استيقظت من الصباح رأيته صاحيا أيضا، وبسبب هذه المشقة الكبيرة أصيب حضرته بالسعال وأصبح متوعكًا.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: عُهِدتْ إليّ خدمة إعطائه الدواء وغيره، ومن الطبيعي أنّ مَن فُوِّضت له مهمة ما رأى من حقّه التدخل فيها. وكنت أرى من حق طبابتي له أن أتدخل شيئا في طعامه وشرابه، وكنت أذكر له بعض الأمور من قبيل المشورة كأن لا يأكل هذا، ولا يأكل ذلك.

كانت وصفات طبية لحضرة الخليفة الأول رضي الله عنه أيضا تُستَخدم إلى جانب الأدوية الإنجليزية، إلا أن السعال كان يتفاقم ويتفاقم. وكان ذلك في عام ١٩٠٧. فلما قرأ عبد الحكيم المرتد عن إصابة حضرته بالسعال الشديد كتب بأن المرزا سيموت بمرض السل. ولهذا السبب كنا نهتم بالأمر أكثر حتى لا يجد هذا الشخص أيَّ سببٍ لفرحته المزعومة بصورة خاطئة. باختصار كان حضرته يعاني من سعال شديد جدًّا، وكان يتعرض أحيانًا لنوبة شديدة منه لدرجة يبدو وكأن تنفسه سيتوقف. وفي هذه الأيام جاء زائر من خارج قاديان (أي جاء هذا الزائر لما كان حضرته يعاني هذه الحالة) وجاء ببعض الفواكه هديةً.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: قدّمتُ هذه الفواكه لحضرته، فنظر إليها ثم قال: قل لهذا الأخ، جزاك الله، ثم تناول حبّة منها ولعلها كانت موزةً.

يقول المصلح الموعود ﷺ: فبما أنني كنت أعطيه عليه السلام الدواء وغيره لذلك سألني حضرته: كيف تكون هذه الفاكهة في السعال؟ أو لعله سألني ليلقنني درسًا. قلت: إنها ليست جيدة في السعال. ابتسم حضرته وبدأ بتقشيرها وأكلها. كررتُ قولي السابق فقلتُ: السعالُ شديدٌ وتناوُل هذه الفاكهة ليس جيدًا في السعال. ابتسم حضرته، إلا أنه ظل يأكلها. أصررت لجهلي على ألا يأكلها حضرته. إلا أنه ابتسم مرة أخرى ثم قال: لقد تلقيت وحيًا الآن يقول: زال السعال. فقد تلاشى السعال على الفور في حين لم يتناول حضرته أيّ دواء، و لم يلتزم بالحمية، بل خالفها، ومع ذلك زال السعال، وكان حضرته خاضعًا للعلاج لمدة شهر قبل ذلك دون أن يزول هذا السعال. فكان هذا تصرفًا إلهيًا.

يقول حضرته: بشكل عام تزداد الأمراض بعدم الالتزام بالحِمْية، وبالعلاج يستعيد المرء الصحة، ولكن الله يتدخل في هذه الأمور عندما يشاء، ولأجل ذلك علّم الله تعالى الإنسانَ استخدام سلاح الدعاء، فإن ذهب المرء في حضرة الله تعالى وقال له بأنني لا أريد الحرية، لأنني لم أعد أستطيع تحمّل أوضاعي، فأرجوك أن تتدخل في أموري، ثم إذا رأى الله تعالى بأنه صار عبدًا متوكلا، ويريدني فعلا أن أتدخل في ظروفه، فإنه يتدخل ويري نموذجًا من قدرته.

ذكر المصلح الموعود ﷺ بعد هذه الواقعة مثالا آخر يبعث على الإيمان وهو مثال يتعلق بليكهرام، قال حضرته: يمكن أن تقدم حادثة ليكهرام مثالا على أنه لو أراد الله تعالى لَنَشأ المرض رغم توفر كافة أسباب الصحة.

لقد قال الله تعالى في أمر ليكهرام في وحيه إلى المسيح الموعود عليه السلام بأنه سيموت في اليوم الثاني من العيد وسيتم ذلك خلال ست سنوات. لم يكن صعبًا اتخاذ أسباب الحراسة والأمن ليومين أو ثلاثة سنويا إلى مدى ست سنين، وكان ذلك باستطاعة ليكهرام أن يتخذ أسبابًا خاصة لأمنه خلال تلك الأيام. مع كل ذلك فقد حقق الله تعالى نبوءة المسيح الموعود عليه السلام رغم مخالفة الظروف الظاهرة. كان موت ليكهرام قُدّر في ٦ مارس، وتلقى ليكهرام من لجنة مركزية لطائفته أمرًا بالوصول إلى مدينة مُلتان، فذهب وألقى هنالك ٤ محاضرات إلى ٤ مارس. ثم أبرقته اللجنة ليتوجه إلى مدينة "سكهر"، إلا أن طائفة آريا سماج في مُلتان منعته من الذهاب إليها بسبب تفشي الطاعون فيها. فاستعدّ ليكهرام للذهاب إلى "مظفر غرهــ" ولكن لا ندري لماذا عاد مباشرة إلى لاهور، فقد وصل إليها في ٦ مارس. فلو لم يعُد في ذلك اليوم لما تحققت النبوءة، ولكنه مع أنه كانت ثمة مناسبة واضحة ليبقى خارج لاهور إلا أنه عاد إليها في الوقت المحدد وقُتل. وهذا المثال يوضح أنه يمكن أن يهلك المرء رغم توفر أسباب الصحة والحفظ. فالله تعالى يتدخل في أمور الإنسان ويُري قدرته متى يشاء وكيفما يشاء.

لقد ذُكر مرزا مبارك أحمد آنفا الذي بسبب عيادته تضررت صحة حضرته. كان حضرته يحبه كثيرا، يذكر المصلح الموعود واقعة عنه فيقول:

كان لنا أخ صغير يدعى مبارك أحمد، وقبره إلى شرق ضريح المسيح الموعود عليه السلام في "بهشتي مقبرة". كان حضرته يخصه بالحب. أتذكر أننا كنا نهوى تربية الدجاج لما كنا صغارًا. *(كيف كان يظهر المسيح الموعود عليه السلام حبه له وكيف كان يهتم به؟ يذكر ذلك المصلح الموعود فيقول:)* كنا نهوى تربية الدجاج، فكانت لي بعض الدجاجات وبعضها لمير إسحاق وبعضها لمرزا بشير أحمد. وكنا بسبب الهواية الطفولية نقصد صباحًا قفص الدجاج ونفتحه ثم نعدّ البيض التي باضته الدجاجات ونتفاخر فيما بيننا بأعدادها فيقول أحدنا: دجاجاتي باضت هذا العدد من البيض، والآخر يقول: دجاجاتي باضت هذا العدد. كان مبارك أحمد أيضا يشاركنا في هوايتنا هذه. واتفق أن مرض يومًا. كانت سيدة من سيالكوت تعتني به وكانت معروفة باسم "الجدة"، وكنا والآخرون أيضا نناديها بـــ"الجدة". لم يكن الخليفة الأول يرتاح لتسميتها بهذا الاسم إلا أنه لم يكن لها اسمٌ معروف آخر لذلك كان الخليفة الأول يناديها "جدة العالم" بدلا من الجدة. فلما مرض مبارك أحمد قالت الجدة بأنه مرض بسبب مطاردته الدجاجات وبقائه عندها في مكان وسخ. فلما سمع المسيح الموعود عليه السلام هذا قال لحضرة أمان جان: أحصي الدجاجات ليُدفع ثمنها للأطفال، ولتُذبح الدجاجات وتؤكل.

كان مبارك أحمد عزيزًا كثيرا على قلب المسيح الموعود عليه السلام ولكن كيف كانت حالة المسيح الموعود عليه السلام عند وفاة ابنه المدلل الذي كان عليه السلام قد بذل كل جهده لعلاجه وعيادته؟ صوّر المصلح الموعود رضي الله عنه هذه الحالة في كلماته في أماكن عديدة من كتبه وخطاباته وقال مرة:

كان المسيح الموعود عليه السلام يحب كثيرا أخانا الصغير مبارك أحمد. فلما مرض أشرف المسيح الموعود عليه السلام على علاجه بكل جهد واهتمام حتى ظنّ بعض الناس أن حضرته سيصاب بصدمة كبيرة إذا توفي مبارك أحمد. كان الخليفة الأول يتحلّى بالهمّة والشجاعة العظيمتين. وفي صباح اليوم الذي توفي فيه مبارك أحمد رجع المسيح الموعود عليه السلام من صلاة الفجر لتفقد حالة مبارك أحمد، وكنت أتولى في ذلك الوقت مهمة إعطائه الدواء والاهتمام به، لأجل ذلك كنت قد استصحبت الخليفة الأول لتفقد حاله، فكنا أنا والخليفة الأول والدكتور مرزا يعقوب بيك ولعل الدكتور خليفة رشيد الدين أيضا موجودين هناك. فلما وصل الخليفة الأول لتفقد حالة مبارك أحمد قال له المسيح الموعود عليه السلام: تبدو حالة الطفل طيبة لأنه نام. ولكن في الحقيقة كان ذلك وقته الأخير.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: لما جئت بالخليفة الأول إلى هنا كان مبارك أحمد مستلقيًا، وكان رأسه إلى ناحية الشمال والقدمين إلى الجنوب. وقف الخليفة الأول إلى يساره وأخذ يفحص نبضه فلم يشعر به، فقلق والتمس

من المسيح الموعود عليه السلام أن يسرع بإحضار المسك، ثم حاول أن يفحص النبض من مكان قريب من المرفق، إلا أنه لم يشعر به هناك أيضا، فالتمس مرة أخرى من المسيح الموعود عليه السلام أن يسرع في إحضار المسك، ثم قرّب يده إلى إبط الطفل متحسسًا النبض هناك إلا أنه لم يشعر به هناك أيضا ففزع، وقال في هلع: سيدي! أسرع بإحضار المسك. كان المسيح الموعود عليه السلام قد وجد المفتاح من مجموعة المفاتيح وأخذ يفتح مغلاق الصندوق حين قال الخليفة الأول فزعًا في المرة الأخيرة: سيدي أسرع بإحضار المسك. وظنّا منه رضي الله عنه أن المسيح الموعود عليه السلام سيصاب بصدمة كبيرة بوفاة مبارك أحمد اهتزت قدماه رغم شجاعته فلم تحملاه فجلس على الأرض. كان يرى أن النبض ضعيفٌ، فلعله سيشعر به قربَ القلب، وبإعطائه المسك يمكن تنشيط النبض، إلا أنه بدا من نبرة صوته أنه لا أمل. فلما لاحظ المسيح الموعود عليه السلام الفزع من صوته رضي الله عنه وطريقة تكلمه شعر أنه الوقت الأخير لمبارك أحمد، فترك فتح الصندوق وقال: يا مولوي صاحب، لعل الطفل مات، ولكن لماذا أنت فزع إلى هذه الدرجة؟ كان أمانة من الله تعالى الذي أودعها إلينا، فلمَ الشكوى إن استعاد الله أمانته؟ ثم قال: لعلك تظن بأنني خدمته كثيرًا فلربما أُصابُ بصدمة كبيرة. كلا، كانت خدمته واجبي الذي أديته، وإذا توفي الآن فإننا راضون برضى الله بشكل كامل. فجلس على الفور وشرع في كتابة الرسائل إلى أصدقائه.

كتب المصلح الموعود رضي الله عنه أن البطاقات البريدية كانت موجودة قرب مكان الأدوية، فأخرج عليه السلام هذه البطاقات بدلا من الدواء وأخرج القلم أيضا وأخذ يكتب الرسائل لأصدقائه المقربين يخبرهم فيها عن وفاة مبارك أحد وأنه كان أمانة من الله تعالى الذي استعاد أمانته الآن.

فمن واجب المؤمن أن يبذل -من ناحية- كل ما في وسعه لخدمة الآخرين ويعدّ هذه الخدمة مدعاة لثوابه، ومن ناحية أخرى ينبغي ألا يظهر جزعه وفزعه عندما تتحقق مشيئة الله، لأنه يرى أنه نال ثواب الخدمة. أما الذين يجزعون في هذه الحالة فإنهم يتحملون مصيبة الدنيا إلى جانب مصيبة الآخرة، ومَن أشقى من الذي يتحمل كلتا المصيبتين بحيث يتجشم مصيبة هذه الدنيا والآخرة معا!

ثم قال المصلح الموعود رضي الله عنه مرة بهذا الخصوص وهو يخاطب أهل قاديان: لقد رأى سكان قاديان كيف كان المسيح الموعود عليه السلام يهتم بالعلاج والمداواة أثناء مرض المولوي عبد الكريم ومبارك أحمد لدرجة أن الرائي كان يظن بأن حضرته يرى رقي جماعته منوطًا بحياتهما، فلم يكن يُذكر في تلك الأيام شيءٌ آخر سواهما وعلاجهما وكيف وماذا ينبغي أن يُعالجا به. ولكن ماذا حدث عند وفاتهما؟ لقد حدث أن تغيرت فجأة حالة حضرته لدرجة أثارت الحيرة عندنا إذ رأيناه مرةً يفيض بحماس مفرط بحيث لا يذكر إلا علاجهما صباح مساء – وحدث ذلك عندما قربت وفاة المولوي عبد الكريم وكذلك عندما أشرف مبارك أحمد على الوفاة- ثم رأيناه يخطب فينا بوجه بشوش مبتسم قائلا: كان الله تعالى قد أخبرني سلفا عن موتهما.

ثم ذكر حضرته ﷺ مرة عن هذه الحادثة بما يلي: لما خرج حضرته عليه السلام من البيت بعد وفاة مبارك أحمد حيث كان الناس يجتمعون، فما أن جلس حتى خطب فيهم قائلا: كان هذا ابتلاء من الله، وينبغي لجماعتنا أن لا تحزن على مثل هذه الابتلاءات. ثم قال: لقد أوحي إلي عن مبارك أحمد في وقت كذا وكذا أنه سيتوفى في صغر سنه، وعليه فإنه مدعاة للسرور أن آية الله قد تحققت.

يقول المصلح الموعود ﷺ: إن مات أخونا أو ابننا أو أحد أقاربنا الأعزاء وكانت هناك نبوءة من الله عن وفاته فسنفرح بتحقق هذه النبوءة، إضافة إلى شعورنا بالحزن. لا تعني الفرحة هنا بأننا نعتبرهم أغيارًا. كلا، بل نعدّهم أقاربنا إلا أننا نعدّ الله تعالى أقرب لنا منهم، ولا يمكن لنا أن نخفي آية من آيات الله تعالى.

فمن واجبنا أن نظهر على العالم مزايانا من كِلا النوعين، أي من ناحية يجب أن نُطلع العالم على آيات غضب الله العظيمة ونخبرهم أنها ظهرت لإثبات صدق المسيح الموعود عليه السلام ومن ناحية أخرى يجب أن نواسي المجروحين والمنكوبين.

المراد من ذلك أن الذين يموتون نتيجة آفات مختلفة، أو نتيجة آيات الغضب التي تنبأ بها المسيح الموعود عليه السلام فهم من بني جلدتنا. فعلينا أن نخبرهم أن السبب وراء كل هذه المصائب هو أن هذه الآيات تظهر لإثبات صدق المسيح الموعود عليه السلام ومن ناحية ثانية يجب أن نساعد المجروحين والمنكوبين. لا يجوز أن نفرح على أن هؤلاء قد لقوا حتفهم كآية، بل يجب أن نساعد الجرحى والمنكوبين والمتضررين بعد ظهور الآية أيضا حتى يفهم الناس أننا لا نبالي بلوم أحد عند ذكر آية الله، كما يجب ألا يظنوا أننا لا نهتم بمصيبة ومعاناة أحد، بل يجب أن يعرفوا أنه لا مواسيَ أكثرَ منا لهؤلاء المنكوبين، لذا فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية تساعد هؤلاء المنكوبين في كل مكان. إذا أظهرْنا هاتين الميزتين ظهرت لنا قدرتان من الله تعالى أيضا؛ أي تلك التي تنـــزل من السماء والتي تظهر من الأرض أيضا.

فإن هذه الأحداث تلقي ضوءًا على جوانب مختلفة من سيرة المسيح الموعود عليه السلام. إن خدمته عليه السلام لطفله واهتمامه بعلاجه، وقلقه تجاه أحد أصحابه المقربين وتركيزه على علاجه، ثم إظهاره السعادة عند تحقق آيات الله، ثم تصرُّفه عند تحقق قدر الله وكأنه لم يحدث شيء، إنما هو نصحٌ عملي لأفراد الجماعة لينتبهوا إلى الله تعالى ويسعوا جاهدين من أجل تحقيق أهداف عليا. الهدف الحقيقي هو نيل رضى الله تعالى، وأنه يؤكد على التحلي بطمأنينة بسبب تحقق أنباء الله تعالى، ومن ناحية أخرى يوصي بخدمة البشرية ومساعدتها كلما اقتضت الحاجة إليها.

يقول المصلح الموعود ﷺ عن ذكاء مرزا مبارك أحمد وفطنته: أفهِّمكم هذا الأمر بضرب مثال الشعور بشيء وعدمه. يعرف من رأى حضرته كم كان يحب مرزا مبارك أحمد، وكانت هناك أسباب كثيرة لحبه هذا، أولا لأن مرزا مبارك أحمد كان ضعيفا جسديا وكان يمرض بين حين وآخر لذلك كان المسيح الموعود عليه السلام يهتم به

بوجه خاص. من المعلوم أن الذي يهتم به المرء أكثر يتولد في قلبه حبٌّ خاص له. وثانيا: مع أنه كان أصغرنا وكان صغير السن جدا ولكنه مع ذلك كان ذكيا وفطينا جدا. فكان ذكاؤه وفطنته إحدى دواعي حب المسيح الموعود عليه السلام له. كان ينظم الشعر حين كان عمره ٧ سنوات فقط، وتكون أشعاره موزونة تماما. هذا أحد الأمثال على ذكائه وذاكرته الحادة. ذات مرة نظم المسيح الموعود عليه السلام قصيدة طويلة محتوية على دعاء، وقال لنا أن ننظم أبياتا على وزنها فنظم مرزا مبارك أحمد أبياتا أكثر منا وكانت بعضها جميلة جدا.

ثم سرد المصلح الموعود رضي الله عنه حادثا آخر مفاده أنه يجب علينا أن نخدم الخلق خدمة جسدية أيضا لإظهار ربوبية الله تعالى. يقول رضي الله عنه: لا أنسى مشهدا حين كنت صغيرا وكان عمري نحو ١٦ أو ١٧ عاما. في تلك الأيام ماتت أختنا الصغيرة التي كان عمرها حينذاك بضعة أشهر فقط، وشيَّعنا جثمانها للدفن في المقبرة التي قال الأحرار عنها بأنهم لن يسمحوا للأحمديين أن يدفنوا فيها موتاهم. بعد صلاة الجنازة حمل المسيح الموعود عليه السلام جثتها على يديه. عندها تقدم السيد مرزا إسماعيل بيك الذي كان بائع الحليب في الحارة وقال لحضرته عليه السلام: أرجو أن تسلِّمني الجثة لأحملها. فعطف المسيح الموعود إليه وقال: إنها ابنتي، بمعنى أن الخدمة الجسدية الأخيرة التي يمكن أن أسديها لها بصفتها ابنتي هي أن أحملها بنفسي.

يستنتج المصلح الموعود رضي الله عنه من ذلك أنه إن كنتم تريدون أن تصبحوا مظاهر صفة الله "رب العالمين" فلا بد لكم من أن تخدموا البشرية خدمة جسدية. فإذا أنفقتم كُلّ عقاراتكم وجُلّ دخلكم لخدمة الدين يمكن أن تكون مظاهر صفة الله "المالك" ولكن لن تكونوا مظاهر "رب العالمين" ما لم تعملوا بيدكم وما لم تستعدوا لخدمة الفقراء. فالطريقة المثلى لكون المرء مظهر "رب العالمين" هو ألا يخدم بيده أقاربَه ومعارفَه فقط بل ينبغي أن يخدم الأغيار أيضا. وإذا تأملتم في ذلك لرأيتم أن هذا العمل يسفر عن نتائج عظيمة وواسعة التأثير وسيكون سببا لانخراط القوم في سلك الوحدة. وإذا عملتْ كل شريحة من شرائح المجتمع بهذا الأصل سيتكوّن مجتمع جميل جدا.

ثم يسرد المصلح الموعود رضي الله عنه حادثا آخر عن توكّل المسيح الموعود واستجابة أدعيته ويقينه الكامل بصدقه فيقول: ذات مرة كان هناك قضية مرفوعة بين الأحمديين وغيرهم في مدينة كفور تهله حول ملكية مسجد. القاضي الذي كانت القضية مرفوعة عنده أبدى معارضته للجماعة منذ بداية القضية، فقلق أفراد الجماعة وكتبوا إلى المسيح الموعود عليه السلام للدعاء. فكتب عليه السلام إليهم في الجواب: إذا كنتُ صادقا فستُعطَون المسجد حتما. ومن ناحية أخرى كان القاضي مصرا ومستمرا على سلوكه المعادي للجماعة حتى كتب قراره ضد أفراد الجماعة. وفي اليوم التالي حين كان في البيت ويجهّز نفسه للذهاب إلى المحكمة قال لخادمه: ألبسْني حذائي، فألبسه الخادم حذاء في إحدى قدمَيه وما كاد يلبسه الآخر في قدمه الأخرى حتى سمع صوتا كأن شيئا سقط. وحين رفع نظره إلى الأعلى وجد القاضي ساقطا نتيجة نوبة قلبية حادة. وبعد موته عيِّن قاض

آخر فعدّل قرار القاضي السابق وأصدره في حق جماعتنا. كان ذلك آية عظيمة للإخوة الأحمديين وارتفع مستوى إيمانهم ويقينهم كثيرا فكأنه بلغ عنان السماء.

فمن سنة الله تعالى أنه يُطلع أنبياءه على أنباء الغيب وبتحققها يزداد المؤمنون إيمانا ويقينا. فمن نتائج الأنباء الغيبية أن الذين آمنوا برسول الله ﷺ كانوا أقوياء القلوب لدرجة أنه كلما وجد صحابي فرصة لتقديم التضحية بحياته في سبيل الله كان يقفز فرحا ويقول: فزتُ ورب الكعبة، بينما ترتعد فرائص الناس العاديين عندما يرون الموت ماثلا أمامهم.

ثم ذكر المصلح الموعود رضي الله عنه حادثَ تحقُّق كشف المسيح الموعود عليه السلام خلال بضع دقائق وقال: أحيانا يرى الإنسانُ حادثا في اليقظة ولا يتطلب أي تفسير بل يتحقق كفلق الصبح كما يريه الله تعالى عبده. ونرى مثال ذلك في كشوف المسيح الموعود عليه السلام.

لقد رأى المسيح الموعود عليه السلام ذات مرة في الكشف أن مرزا مبارك أحمد سقط قرب البساط وأُصيب بجرح بالغ. ولم يمض على هذا الكشف إلى بضع دقائق وإذ زلّت قدم مبارك أحمد الذي كان واقفا قرب البساط وسقط وأصيب بجرح بالغ وتلطخت ثيابه بالدم.

وقد ذكر المصلح الموعود رضي الله عنه حالة قاديان الابتدائية، ثم تقدُّمها وتقدُّم الجماعة فقال: كان هناك زمن حين لم يكن مع المسيح الموعود عليه السلام ولا حتى شخص واحد، ثم جاء زمن صار معه آلاف الناس، أما الآن فقد بلغ عددهم إلى مئات الألوف. كذلك كان هناك زمن حين لم يكن في البنجاب كله شخص واحد يؤمن به، أما الآن فإن أتباعه ليسوا منتشرين في الهند كلها فقط بل موزَّعون على جميع قارات العالم. إذا كان صحيحا أن الناس لا يؤمنون به فمن أين جاء كل هؤلاء الناس؟ وترون أن الناس يدخلون الجماعة أفواجا في بعض البلاد أو تنتشر فيها الجماعة على نطاق واسع.

يتابع المصلح الموعود رضي الله عنه ويقول: الذين يجلسون أمامي الآن، كم منهم آمنوا بالمسيح الموعود عليه السلام في أوائل عهده؟ أرى أن قلة قليلة من الحاضرين في هذا الاجتماع قد رأوا المسيح الموعود عليه السلام مباشرة، ومعظمهم قد رأوا صورته فقط. ثم يكون هناك بعض منهم الذين رأوه عليه السلام ولكن لم يجدوا فرصة الاستفادة من صحبته. فقلّة قليلة جدا منهم- وقد لا يزداد عددهم على عشرات- هم الذين سمعوا كلامه واستفادوا من صحبته. فمن أين جاء كل هؤلاء الناس؟

يقول حضرته رضي الله عنه: إن ولادتي والبيعةَ حادثان متزامنان يمشيان جنبا إلى جنب، فحين بلغتُ سن الرشد كانت عملية تبليغ الدعوة قد بدأت منذ عدة سنوات ولكنني أذكر منذ زمن بلغتُ فيه رُشدي أنه عندما كان المسيح الموعود يخرج للتنـــزه لم يكن معه إلا الحافظ حامد علي المحترم وحده. فذات مرة مرّ المسيح الموعود في أثناء النـــزهة بهذه الناحية (هنا أشار رضي الله عنه إلى جانب معين من قاديان) فأصررتُ أن أرافقه، وكنت حينها صغير

السن. في ذلك الزمن لم تكن في هذا الجانب الذي أشرتُ إليه إلا الأعشاب والطفيليات وكانت المنطقة كلها- حيث توجد الآن مدرسة تعليم الإسلام وسكن الطلاب والمسجد- شبه فلاة إذ لم يكن فيها شيء إلا العشب والكلأ. فجاء المسيح الموعود عليه السلام إلى هذا الجانب للتنـــزه واصطحبني أيضا بناء على إصراري. وبعد قطع مسافة وجيزة بدأت أشكو من التعب والإرهاق. فكان المسيح الموعود عليه السلام يحملني تارة والحافظ حامد علي تارة أخرى، ولا أزال أذكر ذلك المشهد. إذًا، كان المسيح الموعود عليه السلام قد أعلن ادعاءه في ذلك الزمن ولكن المؤمنين به كانوا قلة، وما كان يأتي أحد إلى قاديان إلا نادرا. أما اليوم فنضطر للإعلان مرة بعد أخرى - علما أن هذا الكلام يعود إلى عام ١٩٣٧م- أن الذين يريدون أن يهاجروا إلى قاديان للاستقرار فيها يجب أن يستأذنوا قبل المجيء إلى هنا، ومن أتى إلى هنا دون إذن سابق فمن الممكن أن نطلب منه أن يعود إلى وطنه.

فمما لا شك فيه أن هذه الأحداث تزيدنا إيمانا ويقينا، ندعو الله تعالى أن يزيدنا إيمانا ويقينا دائما ويوفقنا أن نكون أعضاء مفيدين للجماعة.

بعد صلاة الجمعة سأصلي صلاة الغائب على المرحومة "نسيم محمود" زوجة سيد محمود أحمد شاه من كراتشي، وقد توفيت في كراتشي بتاريخ ٢٠١٥/٤/٢٧م بمرض السرطان عن عمر يناهز ٥٨ عاما، إنا لله وإنا إليه راجعون.

قد انضم والد المرحومة إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية بعد دراسة متأنية نتيجة حادث معين، وذلك في عام ١٩٥٣م حين كانت الجماعة تواجه ظروفا قاسية جدا. من المعلوم أن المعارضة أيضا تفتح أحيانا سبلا كثيرة للتقدم والازدهار. لقد حدث أن سافر السيد ملك محمد رفيق- الذي كان ضابطا في القوات الجوية في باكستان- من لاهور إلى كراتشي بالقطار في عام ١٩٥٣م أي في العام الذي بدأت فيه المفسدة ضد الجماعة. وفي الطريق ركب القطار مجموعة من المشايخ في محطة "رائي وِنْدْ" قائلين بأننا مسافرون للجهاد لنمحو القاديانية (أي الأحمدية) من هذا البلد كليا. وعندما جاء مراقب التذاكر لفحص التذاكر عند المسافرين لم يجد تذكرة مع أيّ من هؤلاء المشايخ ووجدها عند السيد ملك محمد رفيق وزميله. ففكّر صاحبنا أن المشايخ مسافرون في القطار بغير تذكرة، فلو كانوا صادقين وأمناء، وكان جهادهم جهادا حقيقيا لما سافروا بغير تذكرة ولما ألحقوا بخزانة الدولة خسارة. (علما أن المشايخ المعاصرين يلحقون خسائر أكبر من ذلك الزمن أيضا)

باختصار، عندما وصل السيد محمود شاه إلى مكان وظيفته في كراتشي سأل المسئول الأعلى منه: هل يوجد في فرقتنا شخص "قادياني" فعلم عن شخص أحمدي وناقشه وحصل منه على معلومات أكثر عن الجماعة وبايع في الأخير وانضم إلى الجماعة. فهكذا دخل والد المرحومة الجماعةَ ثم انضمت عائلته أيضا إلى الجماعة.

كانت المرحومة منخرطة في سلك التدريس منذ ١٩٨٧م في كراتشي، وقد وفّقها الله تعالى لخدمة الجماعة منذ عام ١٩٩٧م إلى يوم وفاتها. فكانت رئيسة لجنة إماء الله في الجماعة المحلية من ١٩٩٧م إلى ٢٠٠٥م، ثم من عام ٢٠٠٧م إلى ٢٠١٣م. ثم عيِّنت مشرفةً على فروع لجنة إماء الله المختلفة، ووفِّقت بفضل الله تعالى لتكون عضوة في الهيئة الإدارية للجنة إماء الله في كراتشي على مستوى المحافظة. كانت موصية. ولقد تركت وراءها زوجَها السيد محمود أحمد شاه وابنين وابنتين. ابناها يعملان داعيتين في الجماعة اسم أحدهما: السيد شاهد أحمد الذي يعمل داعيةً في نيجيريا وابنها الثاني السيد مشهود أحمد يدرّس في الجماعة الأحمدية في بريطانيا، و لم يتمكن من الحضور في جنازتها.

يقول السيد مشهود أحمد: لقد وُفِّق والدانا أن يجعلا ابنيهما حافظَين للقرآن الكريم ثم نذرا حياتهما في سبيل الله إذ ألحقاهما بالجامعة الأحمدية بعد أن حفظا القرآن الكريم. لقد آثرتْ والدتي الدينَ على الدنيا دائما وفي كل أمر. ورسّخت في أذهاننا منذ الصغر أن عليكما أن تخدما الجماعة. أذكر جيدا أنه كان من عادتها أن تقرأ علينا الأدعية المأثورة قبيل النوم كل ليلة وتدعو لنا أيضا منذ صغرنا. كذلك كانت تقرأ أبيات قصيدة المسيح الموعود عليه السلام التي تحتوي على دعاء، بصوت جميل وبلهجة ملؤها الألم والحرقة. وكانت تقول لي دائما بأن أخاك الأكبر سيصبح داعية للجماعة وعليك أن تذهب إلى ربوة لتحفظ القرآن الكريم. فكان من فضل الله تعالى علينا إذ وفّق كلَينا أن نحفظ القرآن الكريم ونتخرج في الجامعة الأحمدية وننذر الحياة لخدمة الجماعة بصفتنا داعيتينِ. عندما كنا ندرس في مدرسة تحفيظ القرآن في ربوة كانت أمُّنا تسافر من كراتشي إلى ربوة كل شهر تقريبا مع أن نظام القطار في تلك الأيام كان رديئا وكان السفر به مرهقا جدا، فكانت تسمع منا ما حفظناه من القرآن في تلك الفترة، وتغسل ثيابنا وتكويها قبل العودة إلى كراتشي في اليوم التالي لتؤدي مهامها بصفتها منخرطة في سلك التعليم هنالك.

لم يستطع السيد مشهود أحمد الحضور في جنازتها ومراسم دفنها ولكنه ذهب قبل بضعة أيام وزارها في أيام مرضها الأخير. ويقول: حين ذهبت لزيارتها قالت لي: إنني أدعو الله تعالى دائما ألا يجعلني ربّي ابتلاءً لولدَيّ اللذينِ نذرا حياتهما لخدمة الدين. الجانب المتميز من سيرتها أنها كانت تساعد كثيرا في أمور زيجات فتيات الأقارب وغيرهم أيضا. وإن علاقتها مع الجماعة وأفراد الجماعة المبنية على المواساة والحب كانت ممتازة وعظيمة الشأن من كل الجوانب والنواحي. ندعو الله تعالى أن يرفع درجاتها ويوفق أولادها أيضا للاستمرار في حسناتها ويجعلهم ورثة أدعيتها، آمين.

❁❁❁❁❁